قصص الأنبياء

محمد (صلى الله عليه وسلم)
في مكة

رسوم
عبدالمرضي عبيد

المركز العربي الحديث

محمد (صلى الله عليه وسلم) في مكة

وَصَلَ مُحَمَّدُ (صلى الله عليه وسلم) إِلَى مَرْحَلَةِ الكَمَالِ، وَهِيَ أَرْبَعُونَ سَنَة، وَفِي أَحَدِ أَيَّام شَهْرِ رَمَضَانَ، وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَعَبَّدُ فِي غَارِ حِرَاءِ كَعَادَتِهِ، فُوجِئَ بِجِبْرِيلَ، فَلَمْ يَعْرِفْه.

اقْتَرَبَ مِنْهُ جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلامُ-، وَضَمَّهُ بِشِدَّةٍ إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ تَرَكَهُ، وَقَالَ لَهُ: اقْرَأْ، أَجَابَ مُحَمَّدٌ (صلى الله عليه وسلم) : مَا أَنَا بِقَارِئٍ.

ضَمَّهُ جِبْرِيلُ مَرَّةً ثَانِيَةً، ثُمَّ تَرَكَهُ وَهُوَ يَأْمُرُهُ: اقْرَأْ. عَادَ مُحَمَّدٌ يُجِيبُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ. ضَمَّهُ جِبْرِيلُ مَرَّةً ثَالِثَةً بِشِدَّةٍ أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلُ، وَقَالَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق : ١] أَحَسَّ مُحَمَّدٌ بِخَوْفٍ شَدِيدٍ، فَهَبَطَ سَرِيعًا مِنَ الغَارَ، وَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ يَقُولُ لِزَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ: زَمِّلِينِي زَمِّلِينِي، أَيْ غَطُّونِي فِي ثِيَابِي.

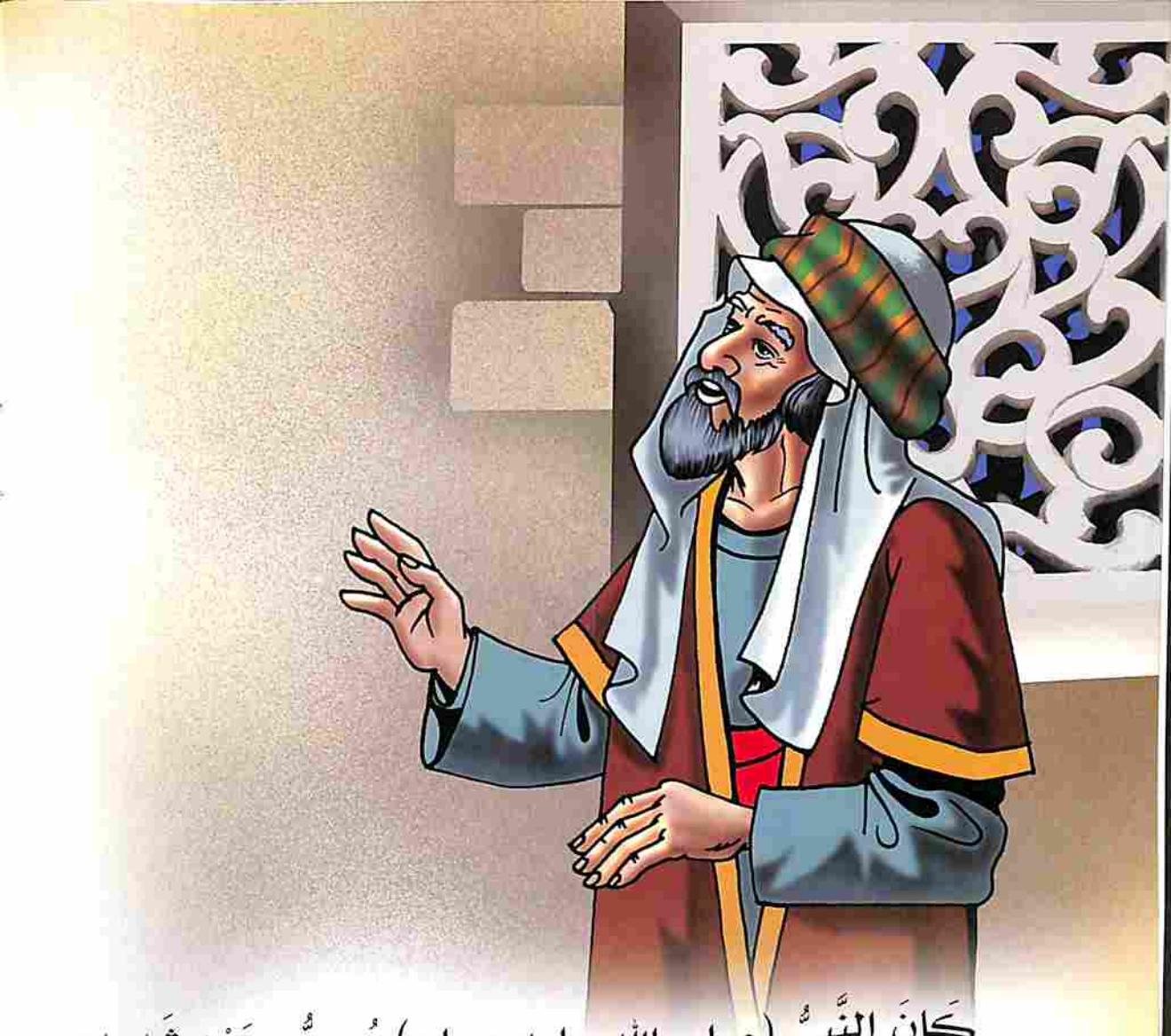

كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يُحِسُّ بِبَرْدٍ شَدِيدٍ، غَطَّتْهُ خَدِيجَةُ، وَبَعْدَ أَنْ هَدَأَ وَزَالَ مَا بِهِ مِنْ خَوْفٍ وَبَرْدٍ سَأَلَتْهُ عَمَّا حَدَثَ، فَأَخْبَرَهَا بِمَا جَرَى لَهُ، فَطَمْأَنَتْهُ وَذَهَبَتْ بِهِ لابْنِ عَمِّهَا وَرَقَةَ بْنِ نُوفَلِ الَّذِي كَانَ يَعْرِفُ صِفَاتِ النَّبِيِّ الَّذِي سَيُبْعَثُ مِنَ العَرَبِ، وَيَكُونُ آخِرَ الأَنْبِيَاءِ.

اسْتَمَعَ وَرَقَةُ لِمَا حَدَّثَهُ بِهِ مُحَمَّدٌ (صلى الله عليه وسلم)، ثُمَّ قَالَ لَهُ: الَّذِي أَتَاكَ هُوَ جِبْرِيلُ ، رَسُولُ

اللهِ إِلَى أَنْبِيَائِهِ، تَوَقَّفَ وَرَقَةُ بَعْدَ ذَلِكَ عَنِ الكَلام، ثُمَّ قَالَ فِي أَسَفٍ: يَا لَيْتَنِي أَكُونُ شَابًّا حِينَمَا يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَأَقِفُ بِجَانِبِكَ.

عَجِبَ مُحَمَّدٌ (صلى الله عليه وسلم) كَيْفَ يُخْرِجُهُ قَوْمُهُ وَهُم الَّذِينَ يُحِبُّونَهُ وَيُلَقِّبُونَهُ بِالصَّادِقِ الأَمِينِ؟! أَيَصِلُ عَدَاؤُهُم لَهُ لِهَذِهِ الدَّرَجَةِ؟!

وَعَادَ مُحَمَّدٌ (صلى الله عليه وسلم) إِلَى بَيْتِهِ، وَبَدَأَ يَدْعُو إِلَى دِينِ اللهِ سِرًّا، وَاسْتَمَرَّتِ الدَّعْوَةُ سِرًّا ثَلاثَ سَنَوَاتٍ. وَكَانَ أَوَّلُ مِنْ آمَنَ بِهِ مِنَ النِّسَاءِ زَوْجَتُهُ خَدِيجَةُ، وَمِنَ الصِّبْيَانِ ابْنُ عَمِّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الرِّجَالِ صَدِيقُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق.

وَبَدَأَتِ الدَّعْوَةُ تَنْتَشِرُ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَبَعْد انْقِضَاءِ ثَلاثِ سَنَوَاتٍ جَاءَ الأَمْرُ لِلرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم) بِأَنْ يَجْهَرَ بِدَعْوَتِهِ.

أَطَاعَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) أَمْرَ رَبِّهِ، وَبَدَأَ يَجْهَرُ بِدَعْوَتِهِ، صَعَدَ يَوْمًا جَبَلَ الصَّفَا، وَأَخْبَرَهُم أَنَّ اللهَ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِم، فَعَلَيْهِم تَصْدِيقُهُ وَالإِيمَانُ بِهِ، فَقَالَ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟

بَعْدَ ذَلِكَ بَدَأَ فِي إِيذَاءِ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم) وَمُحَارَبَتِهِ وَسَبِّهِ، وَلَكِنَّ الدَّعْوَةَ الإِسْلامِيَّةَ بَدَأَتْ تَنْتَشِرُ، فَآمَنَ عَدَدٌ مِنَ العَبِيدِ كَبِلالِ بْنِ رَبَاحٍ الحَبَشِيّ، عَمَّارِ ابْنِ يَاسِر، وَوَالِدِهِ يَاسِر، وَأُمِّهِ سُمَيَّةَ، وَخَبَّابِ بْنِ الأَرَتِ، وَعِنْدَمَا عَلِمَ كُفَّارُ قُرَيشٍ بِإِسْلامِهِم عَذَّبُوهُم عَذَابًا شَدِيدًا، وَلَكِنَّهُم صَبَرُوا وَاحْتَمَلُوا الأَذَى، وَأَسْلَمَ أَيْضًا عَمُّ النبيِّ (صلى الله عليه وسلم) حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِب.

لِمْ يَنْفَعِ التَّعْذِيبُ وَالإِيذَاءُ فِي رَدِّ المُسْلِمِينَ عَنْ دِينِهِم؛ فَذَهَبَ المُشْرِكُونَ إِلَى أَبِي طَالِبٍ عَمِّ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم)، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ قَدْ سَبَّ آلِهَتَنَا، فَاجْعَلْهُ يَكُفّ عَنْ هَذَا القَولِ، فَذَهَبَ أَبُو طَالِبٍ

وَأَخْبَرَ الرَّسُولَ (صلى الله عليه وسلم) بِذَلِكَ فَأَجَابَهُ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) بِقَوْلِهِ: «وَاللهِ يَا عَمِّ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ - وَهُوَ الدَّعْوَةُ إِلَى دِينِ اللهِ

- مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلَكَ دُونَه». فَقَالَ أَبُو طَالِب: اذْهَبْ يَا ابْنَ أَخِي وَقُلْ مَا شِئْتَ.

وَاشْتَدَّ الأَذَى بِالمُسْلِمِينَ، فَأَمَرَهُم الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) بِالهِجْرَةِ إِلَى الحَبَشَةِ فِرَارًا بِدِينِهِم،

فَإِنَّ مَلِكَهَا عَادِلٌ، فَهَاجَرَ بَعْضُهُم، وَاسْتَطَاعُوا أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ هُنَاكَ بِحُرِّيَّةٍ تَامَّة، وَلَكِنَّهُم عَادُوا بَعْدَ ثَلاثَةِ أَشْهُر، فِي هَذِهِ الأَثْنَاءِ أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب، وَبَعْدَ إِسْلامِهِ بَدَأَ المُسْلِمُونَ يَجْهَرُونَ بِدِينِهِم وَعِبَادَتِهِم.

ثُمَّ لَجَأَ الكُفَّارُ إِلَى حِصَارِ المُسْلِمِينَ لِيَرْتَدُّوا عَنْ دِينِهِم، وَقَرَّرُوا مُقَاطَعَتَهُم اقْتِصَادِيًّا، فَلا يَبِيعُونَ وَلا يَشْتَرُونَ مِنْهُم شَيئًا، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ صَحِيفَةً عَلَّقُوهَا داخل الكَعْبَةِ، وَاضطَرَّ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) وَالمُسْلِمُونَ إِلَى اللُّجُوءِ لِلصَّحَرَاءِ، وَأَمَرَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) المُسْلِمِينَ بِالهِجْرَةِ مَرَّةً ثَانِيَةً إِلَى الحَبَشَةِ، فَهَاجَرَ كَثِيرٌ مِنْهُم، وَبَعْدَ مُرُورِ ثَلاثِ سَنَوَاتٍ عَلَى المُقَاطَعَةِ، وَقَفَ عَدَدٌ مِنْ كِبَارِ قُرَيْشٍ ضِدَّ هَذِهِ المُقَاطَعَةِ، وَطَالَبُوا بِإِلْغَائِهَا، وَعَادَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه

وسلم) وَالمُسْلمُونَ إِلَى بُيُوتِهِم بِمَكَّةَ.

أَثَّرَتْ هَذِهِ المُقَاطَعَةُ تَأْثِيرًا سَيِّئًا فِي صِحَّةِ أَبِي طَالِبٍ، وَخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيلِد فَمَاتَت، وَبَعْدَ شَهْرٍ مَاتَ أَبُو طَالِبٍ -عَمُّ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم) - فَحَزِنَ عَلَيْهِمَا حُزْنًا شَدِيدًا، وَبِمَوْتِ أَبِي طَالِبٍ اشْتَدَّ إِيذَاءُ الكُفَّارِ لِلرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم)، فَتَوَجَّهَ إِلَى الطَّائِفِ لِيَنْشُرَ دَعْوَتَهُ هُنَاكَ، فَلَرُبَّمَا آمَنَ

بِهِ أَحَدٌ، لَكِنَّهُم رَفَضُوهُ وَرَدُّوا عَلَيْهِ رَدًّا قَبِيحًا.

وَعَادَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) إِلَى مَكَّةَ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَكْرَمَهُ اللهُ بِالآيَةِ الكُبْرَى، مُعْجِزَتَي الإِسْرَاءِ وَالمِعْرَاجِ، فَقَدِ انْتَقَلَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) لَيْلاً مِنَ البَيْتِ الحَرَامِ بِمَكَّةَ المُكَرَّمَةِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى بِبَيْتِ المَقْدِسِ بِفَلَسْطِينَ فِي لَحَظَاتٍ، فَقَدْ كَانَ يَرْكَبُ خَلْفَ جِبْرِيلَ دَابَّةً تُسَمَّى البُرَاقَ، تَضَعُ قَدَمَهَا عِنْدَ نِهَايَةِ بَصَرِهَا، وَفِي المَسْجِدِ الأَقْصَى صَلَّى رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) إِمَامًا بِالأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا، ثُمَّ صُعِدَ بِالرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم) إِلَى السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وتوقف جبريل وَارْتَفَعَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) أَكْثَرَ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيّ رَبِّ العِزَّةِ -عز وجل-، وَهُنَاكَ فُرِضَتِ الصَّلاةُ.

وَجَاءَ الصَّبَاحُ عَلَى مَكَّةَ، فَحَدَّثَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) القَوْمَ عَنْ رِحْلَتِهِ، فَعَجِبَ الكَافِرُونَ وَازْدَادُوا كُفْرًا، وَصَدَّقَ المُؤمِنُونَ وَازْدَادُوا إِيمَانًا.

وَلَمَّا أَحَسَّ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّ الدَّعْوَةَ مُحَاصَرَةً قَرَّرَ أَنْ يَعْرِضَ دِينَهُ وَنَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ العَرَبِ

الَّذِينَ يَجِيئُونَ مَكَّةَ لِحَجِّ البَيْتِ، فَقَابَلَ بَعْضًا مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ فَآمَنُوا بِهِ، وَعَاهَدُوهُ عَلَى الإِيمَانِ بِاللهِ، وَعَدَمِ الشِّرْكِ بِهِ، وَأَنْ يَحْمُوا رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) حِينَمَا يُهَاجِرُ إِلَيْهِم.

وَعَادَ أَهْلُ يَثْرِبَ إِلَى مَدِينَتِهِم، وَبَدَأَ الاسْلامُ يَنْتَشِرُ هُنَاكَ، وَلَمْ يَعُدْ لِلنَّاسِ حَدِيثٌ إِلَّا الإِسْلام، وَعِنْدَمَا ازْدَادَ أَذَى المُشْرِكِينَ

عَلَى المُسْلِمِينَ أَمَرَهُم الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) بِالهِجْرَةِ إِلَى يَثْرِبَ؛ فَهَاجَرُوا إِلَيْهَا سِرًّا، وَبَقِيَ مَعَ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم) فِي مَكَّةَ ابْنُ عَمِّهِ عَلِيٌّ ابْنُ أَبِي طَالِب، وَصَدِيقُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق.

اجْتَمَعَ كُفَّارُ مَكَّةَ فِي دَارِ النَّدْوَةِ، لِيَبْحَثُوا أَمْرَ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم)، وَاتَّفَقُوا عَلَى قَتْلِهِ، وَأَوْحَى اللهُ إِلَى رَسُولِهِ بِمَا دَبَّرَهُ المُشْرِكُونَ، وَأَذِنَ لَهُ فِي الهِجْرَةِ إِلَى يَثْرِبَ.

بَدَأَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) يَسْتَعِدُّ لِلهِجْرَةِ، وَأَخْبَرَ صَدِيقَهُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، فَفَرِحَ أَبُو بَكْرٍ بِمُصَاحَبَةِ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم) فِي هِجْرَتِهِ، وَجَهَّزَ نَاقَتَيْنِ لِلسَّفَرِ.

وَجَاءَتْ لَيْلَةُ الهِجْرَةِ، كَانَ المُشْرِكُونَ يُحَاصِرُونَ بَيْتَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم)

وَيَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ حَتَّى يَقْتُلُوه، فَأَلْقَى اللهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ فَنَامُوا، وَخَرَجَ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) مِنْ بَيْنِهِم دُونَ أَنْ يَشْعُرُوا بِهِ، وَذَهَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَخَرَجَا مَعًا مِنْ مَكَّةَ، وَسَارَا فِي الصَّحْرَاءِ حَتَّى وَصَلا غَارَ ثَوْرٍ فَاخْتَبَآ فِيهِ.

لَمَّا عَلِمَ الكُفَّارُ بِخُرُوجِ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم) هَاجُوا وَذَهَبُوا يَبْحَثُونَ عَنْهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَبَعْدَ مُدَّةٍ وَصَلُوا إِلَى غَارِ ثَوْر، فَحَزِنَ أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، لَوْ نَظَرَ أَحَدُهُم تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَرَآنَا، فَطَمْأَنَهُ الرَّسُولُ(صلى الله عليه وسلم) وَأَجَابَه: إِنَّ اللهَ مَعَنَا، فَلا تَخَفْ.

وَانْصَرَفَ المُشْرِكُونَ يَبْحَثُونَ فِي مَكَانٍ آخَرَ، وَبِهَذَا رَدَّ اللهُ -عز وجل- كَيْدَ الكَافِرِينَ، وَحَمَى نَبِيَّه(صلى الله عليه وسلم) .

بَعْدَ أَنِ اطْمَأَنَّ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وسلم) إِلَى انْقِطَاعِ البَحْثِ عَنْهُ، اتَّجَهَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ إِلَى يَثْرِبَ وَوَصَلا بَعْدَ أَيَّام، وَكَانَتْ يَثْرِبُ قَدْ خَرَجَتْ كُلُّهَا فِي اسْتِقْبَالِهِ.

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ رضى الله عنه قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) - وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ - قُلْنَا لَهُ أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ» رواه البخاري.

الركز العربى الحديث

103شارع الامام على ميدان الاسماعيلية - مصر الجديدة القاهرة - تليفاكس : 26377603

مكتبة قطان

سوريا - حلب - هاتف: 3211096

E-mail:kattan.egypt@hotmail.com